

فلسطين واشهر آثارها

(لحفرة نجيب افندي نصار في طبريا)

ان رضى القراء عن هذه الفصول المتابعة في وصف الانثار المشهورة في فلسطين يتبعنا من اختصارها حرصاً على فوائدها لان القارئ الذي لم يزر فلسطين وتلك الاماكن المقدسة عند الامم الثلاث يراها ماثلة امامه كأنه يشاهدها بعيني راسه لا سيما وان واصفها الفاضل من صرفوا عزمهم بالنقل بينها ودرس شؤونها

طريق اريحا

اريحا واقعة على مسافة نحو ستة عشر ميلاً الى الشمال الشرقي من القدس . وطريقها طريق مركبات تدور من وراء سور المدينة من جهة الشمال بين محجر سليمان الى اليميز وهو مغارة كبيرة قطع منها سليمان الحجارة للهيكل واقصره لها باب صغير في حائط السور وتمتد كثيراً الى الداخل تحت ابنية المدينة . ولم نزل آثار الاسافين والازاميل ظاهرة في اماكن كثيرة في جدرانها - وبين مغارة ارميا الى اليسار والارجح انها قسم من محجر سليمان ثم نتحدر الطريق فنقطع وادي قدرون الفاصل بين جبل الموريا وجبل الزيتون عند كنيسة العذراء في بطن الوادي الى يسار الطريق . وقد ذكرها اركولفوس في سنة ٦٩٧ م اما مارينوس سنانوس فيظن انها بنيت في العصر المسيحية الاولى وانها توارت بخرابات المدينة في عهد ادرينانوس . اما البناء الحالي فقد بنه امرأة فولك انجورابع ملوك القدس من الصليبيين . ويُنزل اليها بسبع واربعين درجة وفيها قبرا يهوبياكيم وحنة نُقلا اليها في القرن الخامس عشر وقبرا يوسف والعذراء . والى جانبها بئر قديمة منقورة في الصخر يقال انها مغارة الآلام . ثم ترى بستان جشيماني الى اليسار . وفي الوادي تحت الطريق الهرم المسمى نارة طنطور ابشالوم واخرى طنطور فرعون ويرشقه اليهود بالحجارة لما يميرون بجسانبه ازدراء بعصيان ابشالوم علي ابيه . وقد ترجح انه قبرا سكندر جانوبوس احد امراء الحشمونيين . وفي الوادي ايضاً توجد مغاور نخوة في الصخر وهي مدافن قديمة كانوا ينسبونها في كل قرن الى قوم آخرين من الانبياء والاولياء والرسل الى ان اقتاد البحث عنها المسيو دي فوكوه الى اكتشافه كتابة بالاحرف العبرانية من الشكل المربع تتضمن اسماء عشرة انفار من عشيرة بني حزير الذين كانوا من رؤساء الكهنة في ايام الحشمونيين وهيرودس وبعد ذلك تمتد الطريق الى قرية اللعازرية

✽ قرية اللعازرية او بيت عنيا ✽ تبعد نحو ميلين عن القدس وهذه المسافة هي عين الخمس عشرة غلوة التي يذكرها يوحنا في انجيله . والبلدة وافعة في بقعة خصيبة في الجهة الجنوبية الغربية من سفح جبل الزيتون عدد سكانها نحو ثلثمائة تنس من المسلمين وهي « بيت عنيا » التي كان المسيح يتردد عليها والتي تعشى فيها مع صديقه لعازر وفيها مسيحت رجلاه بطيب النارددين . وفيها بنت مالبسدا امرأة فولك التي مر ذكرها في المكان المزعوم انه بيت لعازر ديرًا للراهبات ربما خرب في القرن الثالث عشر . وبالقرب منه من جهة الغرب بقايا برج روماني شاقق

اما قبر لعازر فهو على مسافة قريبة الى الشمال من البرج في مغارة سفلية ينزل اليها باربع وعشرين درجة . واما الكنيسة التي ذكر جيرودم في القرن الرابع بانها كانت مبنية فوقه فقد ذكرها اركوافوس في القرن السابع ايضا . وقال احد كتبة القرن الخامس عشر بانه شاهدها محوالة الى جامع .

وقد رجحت الاقوال على كون بيت سمعان الابرس واقعا بالقرب من هذا القبر من جهة الشرق . والله اعلم

ويزعمون ان مريم ومرونا اختي لعازر لافتا المسيح الى مسافة نحو ميل الى الجنوب من بيت عنيا حيث جلس يستريح على حجر هناك . فاحاط الارثوذكسيون ذلك الحجر بدير ✽ عين الرسل ✽ ومن اللعازرية تنحدر الطريق في منعطفات كثيرة الى واد عميق فيه نبع ماء يُدعى الحوض وقد سماها الصليبيون عين الرسل لاعتقادهم ان تلاميذ المسيح استراحوا عندها وشربوا منها في طريقهم من اريحا الى القدس . ولا يبعد ان هذه العين كانت كما هي الان محل استراحة المسافرين لانها العين الوحيدة على هذه الطريق . وقد بنت الحكومة بجانبها نزلاً صغيراً لهذه الغاية . ولم يختلف الرواة في كون هذه العين هي عين شمس (يشوع ١٥ : ٧-٨) الواقعة على الحد بين يهوذا وبنيامين

✽ عقبة الدم ✽ وبعد نحو ساعة تصل الطريق الى عقبة الدم وهذه ايضا على الحد بين يهوذا وبنيامين (يشوع ١٥ : ٧-٨) قال بعضهم ان اسمها اشتق من لون اديمها الاحمر المشابه لون الدم . وقال البعض الآخر بل من كثرة الدماء التي اهرقها اللصوص فيها لانها كانت قديماً مكنتاً لا يخلو من اللصوص . وفي زاسها خان بنته حكومة القدس ايضا . ويعتقد الجمهور ان الفندق الذي قال المسيح ان السامري وضع فيه ذاك الذي ضربه اللصوص وجرحوه وعروه وتركوه بين حي وميت (لوقا ١٠ : ٣٠ - ٣٧) كان قائماً في موضع هذا

الفتدق بدليل ان هذا الخان واقع في منتصف الطريق بين القدس واريحا وبجاية القلعة التي بناها الرومانيون وعززوها بحامية من الجند لحماية هذه الطريق الممتدة بين جبال اليهودية الجذباء وآثار هذه القلعة لم تزل مشهورة على تل واقع على مسيرة ٥ دقائق الى الجنوب الشرقي من الخان . وهي تشرف على القسم الكبير من الطريق وقد ذكرها يوسفوس باسم « داغون » وقال ان بطليموس لجأ اليها بعد ما قتل حميه سمعان المكابي . ودعاها الصليبيون القلعة الحمراء

❖ وادي النبي ايليا ❖ ثم تمتد الطريق الى ان تصل الى بقية قناة قديمة مبنية بالحجارة والكس ربما كانت من بقايا الاقنية التي بناها هيرودس او ارخيلوس ابنه لجر الماء الى اريحا . وعندها تترك المركبة وتسلمق التلال الى يسار الطريق فتعلو في نحو دقيقتين رابية تشرف على واد عميق هائل تكاد جدرانها الصخرية تكون عمودية يدعى وادي القنط فيه مسيل ماء يؤكدون انه نهر كريت الذي قيل ان النبي ايليا لجأ اليه فراراً من وجه اخاب ملك اسرائيل وصارت الغرابان تعوله هناك (ملوك ص ١٧ ع ٣-٨) وفي وسط جانب ذلك الوادي الايسر بنى الروم الارثوذكس ديراً باسم يوحنا المعمدان . وبجانب الدير مغارة في الصخر يصعد اليها بسلم يظنون انها المغارة التي اختبأ فيها النبي ايليا . وفي جانب الوادي الآخر نقر ارخيلوس قناة لتحويل ماء النهر الى الاقسام العلوية من غور اريحا . وبعض هذه القناة منقور في الصخر وبعضها مبني بالحجارة والكس والرمل . وقد رمها الصليبيون وانتفعوا بها وبعد نحو ساعة تصل الى اريحا

اريحا

او مدينة النخل

هي واقعة في جهة غور الاردن الجنوبية . تحت سطح البحر بتسماية قدم . ولذلك تشد فيها الحرارة في فصل الصيف الى درجة لا تطاق . وهي تابعة للاملاك الخاصة السلطانية (الجفتلاك السلطاني) ما عدا القليل منها . وتدير شؤونها الزراعية شعبة ملحقة بمديرية الاملاك الخاصة بالقدس . وفيها اربع « لوكندات » معدة لقبول السياح الغرباء . غير انها لا تفتح في الصيف وذلك لشدة الحر ولعدم وجود مسافرين . وفيها ايضاً مضيف روسي اما اهلها فهم من سبط الغوارنه (سكان غور الاردن) وهم قوم نحاسيون اللون يميلون

الى الراحة لان الحر الشديد يحل عزائمهم فيقعدهم عن العمل والجد . ولذلك ترام في فقر شديد وسذاجة كلية . وهم يسكنون بيوتاً مصنوعة من الاخشاب والقصب والطين وفما ينون بالحجارة

ويقول اكثر الرواة ان اريحا الصليبية التي كانت يومئذ نضرة بكثرة اشجارها وبساتين فصب السكر التي كانت فيها كانت في موقع هذه . وقد بني فيها الصليبيون في ذلك الزمن كنيسة وديراً باسم استفانوس . وحصنها بقلعة . واما اليوم ففيها كنيسة ارثوذكسية يزعمون انها في مكان بيت زكا العشار . وفيها كثير من شجر الموز والعنب الذي ينضج ثمره قبل البلدان الباردة العالية . ولذلك 'بياع باثمان غالية' . وفيها غابات من انجم التيك وهو نبت وادي الاردن الكثير . ويظنون ان اكليل المسيح 'ضفر من شوكه

اما اريحا القديمة فقد كانت على زعم يوسيفوس وغيره من الكتبة الاقدمين واقعة على التلال القائمة الى جانب عين السلطان على مسافة نحو ميلين الى الشرق من اريحا الحالية . وهي التي جاءها الجاسوسان الاسرائيليان والتي سقطت اسوارها بدون حرب امام الجيوش العبرانية (يشوع ص ٦) والتي اعاد بناءها حيشيل البيئيلى فوضع اسمها بابيرام بكره ونصب ابوابها بسجوب صغيرة (ملوك ١٦ : ٣٤) وكانت من نصيب سبط بنيامين . وغير ان مملكة اسرائيل الشمالية استولت عليها بعد انقسامها عن اختها في ملك رحبعام . وبقيت في حوزتها حتى الاسر البابلي . وقامت فيها في غضون ذلك مدرسة للانبياء . اما اريحا الرومانية التي يرجح الجمهور انها كانت على مسافة نحو ميل وربع الى الجنوب من عين السلطان فقد قيل ان اليهود بنوها بعد ما رجعوا من الاسر البابلي وحصنها بمخشد قائد جيش ديمتريوس ابن سالفس بعد واقعة بيت حجل مع المكابيين . ومرفها بومبيوس في طريقه من بيت شان الى القدس . وجعلها غايوس بعد ان سلخ الحكم من ايدي اليهود مركز فصلية رومانية . ووهبها انطونيوس قيصر لكيبوباترا التي باعته من هيرودس الكبير فاعاد بناءها بعد ما كان خربها في بداءة ملكه وزينها بالابنية الكبيرة الشائقة التي سماها باسماء اصحابه منها قلعة كيبروس على اسم والدته التي كانت تصرف فصل الشتاء فيها . واليها جمع كبراء الامة اليهودية لما ثقل مرضه واوصى اخته بقتلهم يوم وفاته كما قيل ليعم الحزن والنواح الامة كلها في ذلك اليوم . غير ان اخته اطلقت سراحهم حال موته فكان يوم فرح عظيم شامل « يوسيفوس حروب اليهود كتاب واحد فصل ٣٣ قطعة ٦ » وخلفه ابنه ارخيلاوس فخصن القلعة وحسنها وجر المياه الى المدينة من قرية تدعى نيريا وزينها

ببساتين البلسان والحناء والبسم وغرس فيها كثيراً من النخل . وقد قال يوسفوس انه كان فيها غابة من شجر النخل الغض تبلغ مساحتها مائة ستاديا ولقد كان اليهود القادمون للعيد الى اورشليم يجتمعون فيها من الجليل ومن بيريا الواقعة شرقي الاردن . وقد مر فيها السيد المسيح مرة وتلذذكا « لوقاص ١٩ » وترك فيها انفسا سيانوس الفيلق العاشر من جنده لوقاية تلك المقاطعة من الثائرين . وفي بدء القرن الرابع صارت كرمي اسقفية وبنى فيها جوستينيانوس كنيسة للعذراء . ولقد قال بعضهم ان اريحا كانت حصن اليهودية ومفتاحها . والحقيقة خلاف ذلك لاننا لم نعث اثناء البحث في تاريخها على كون اهلها كانوا ينازلون اعداءهم ويحاربونهم او يثبتون على الاقل في الحصار امامهم . بل كانوا على الدوام اما يسلمون للاعداء او يهزمون من امامهم . ولكنها احق بان تسمى مخزن اليهودية الكبير بسبب غناء اراضيها بالحصلات ولان واردات وادي الاردن الخصب كانت تأتي القدس وبافا بطريقها وتودع في غالب الاحيان في مستودعاتها

عين السلطان

عين السلطان على مسافة ميلين تقريبا الى الشرق من اريحا الحالية وهي العين التي قيل ان اليسع النبي ابرأها بوضعه الملح فيها « ملوك م : ١٩ - ٣ » وجاء يوسفوس على ذكر ذلك في حروب اليهود « كتاب ٤ فصل ٨ قطعة ٣ » قال بعض الكتبة ان بيت المرأة راحب التي قبلت الجاسوسين فيه كان بقرب هذه العين . ماؤها ينبع من الارض في بركة مبنية حولها طولها ٩٠ قدماً وعرضها ١٨ قدماً . ودرجة حرارتها ٨٠ بمقياس فهرنهايت . وعليها ثلاث مطاحن وهي تسقي المدينة الصغيرة وبساتينها النضرة

والى الغرب من هذه العين بقايا ٣ معاصر لقصب سكر ربما كانت من اثار الصليبيين وبالقرب منها عدة اقنية يغلب الظن انها من اقنية ارخيلاوس . وعلى مسيرة ٢٠ دقيقة من عين السلطان الى الشمال الشرقي من معاصر قصب السكر توجد عين النويمه وعين الدوك وفلعة دوكنس المذكورة في سفر المكابيين « ١٦ : ١٥ » وتصل من هناك في عشرين دقيقة الى دير الاربعين الذي يزعمون ان السيد المسيح صرف عنده مدة الاربعين يوماً صائماً . ومن على قمة الجبل الواقعة فوق الدير ورد في الانجيل ان الشيطان اراه جميع ممالك العالم ومجدها « متى ٤ »

البحر الميت

تسير المركبة ببعض الصعوبة في طريق طبيعية من اريحا اليه . وعند منتصف الطريق

تشاهد دير حجل للروم الارثوذكس ربما بني على آثار قرية بيت حجل القديمة التي كانت على الحد بين يهوذا وبنيامين والتي تغلب فيها سمعان واخوه يهوذا المكابيان على بنحشيد قائد ديمتريوس

اما البحر الميت فيدعى في التوراة بحر لوط وبحيرة الملح والكتابة العبرانيون يدعونه بحر الاسفلتيتس وطوله ٤٧ ميلاً وعرضه يختلف من ثلثة اميال الى تسعة واعمق مكان فيه يبلغ الف وثلثمائة قدم . وارضه اقل من اليابسة انخفاضاً لانها اوطأ . من سطح البحر بالف وثلثمائة قدم . وتطغو مياهه كثيراً في ايام الربيع بسبب فيضان نهر الاردن والجداول الاخرى التي تصب فيه وبسبب قلة التبخير منه لضعف حرارة الشمس في ذلك الفصل من السنة . غير انها لتناقص كثيراً في الصيف بسبب شدة حرارة الشمس التي تمتص منها اكثر كثيراً من المياه المنتهية اليها . ويؤكد ذلك الادلة التي اكتشفها علماء الطبيعة بكون سطح هذا البحر كان اعلى كثيراً في الاعصر الغابرة مما هو الان . وماءه أجاج واقل مياه الابحر المالحة . قال يوسيفوس ان فسباسيانوس ربط ايدي وارجل بعض الاسرى الذين لم يكونوا يحسنون السباحة وطرحهم فيه فلم يفرقوا . وقال ايضاً انه (اي البحر) كان يقذف مادة من الحمر كانوا يستعملونها لطلي السفن ولحاجات اخرى . وقد كانت السفن كثيرة في هذا البحر واما اليوم فلا يوجد فيه سوى واحدة وضعتها الحكومة لتسهيل المواصلات بين انكرن ومدينة القدس . اما العناصر الموجودة في الماء فهي كلوريد الصوديوم وكلوريد المغنيسيوم وكلوريد الكلس وبعض عناصر اخر ثانوية . وقال يوسيفوس ايضاً ان المدن الخمس التي كانت على هذا البحر وهي صدوم وعامورة وادمة وصبويم وجبويم (تكونين ص ١٤) كانت آثارها ظاهرة في ايامه

نهر الاردن

ولئن كان هذا النهر اكبر انهر سوريا الا انه يحسب جدولاً بالنسبة الى انهر العالم الكبيرة كنهري الامازون والمسيبي والتيمس . غير انه يفوقها شهرة لوجوده في ارض الميعاد المقدسة ولتعلقه بعدة حوادث دينية . وله ثلاثة ينابيع رئيسية احدها حاصبيا يقال له الحاصباني والاخر عند بانياس يخرج من مغارة الاله بان الذي اتخذت البلدة اسمها منه . والثالث يخرج من تحت تل القاضي وهو حد مملكة اسرائيل الشمالي . وتجد هذه الانهر عند رأس سهل الحولة الشمالي وتصب في بركة الحولة المدعوة في التوراة مياه ميروم فبحيرة طبريا فالبحر الميت . ويصب في هذا النهر عدة جداول اخر بعضها دائم كنهري المرموق الذي ينضم

اليه بعد خروجه من بحيرة طبريا . وعليه بقايا عدة جسور رومانية بعضها خرب والبعض الآخر لم يزل قائماً كجسر بنان يعقوب بقرب صفد وجسر الجامع بقرب طبريا . ويعلو مخرجه عن مصبه ثلاثة الاف وثلاثمائة قدم ولذلك يسير بسرعة زائدة وله تعاريج كثيرة حتى ان مسافة مجراه تعدل ثلاث مرات المسافة الكائنة بين مخرجه ومصبه البالغة نحو ١٢٥ ميلاً . وتكثر اشجار الدفل والقصب على ضفتيه . وفيه من انواع اممك بحيرتي الحولة وطبريا غير انها اذا سبقت بطفيان الماء الى البحر الميت نموت حالما تدخله

✽ **معبر الاردن** ✽ اما المكان الذي يُظن ان الاسرائيليين عبروا منه الى ارض الميعاد فهو على مسافة ساعة من البحر الميت تسير اليه المركبة في طريق غير مهيمة . وهناك يزعمون ايضاً ان ايليا ضرب الماء بردائه فاوقفه وقطع على اليبس الى الضفة الاخرى وصعد بمركبة نارية الى السماء (٢ ملوك ص ٢) وكذلك يوحنا المعمدان كان يُعمد فيه فتكون معمودية المسيح قد جرت هناك . ولذلك شبه المسيحيون نهر الاردن بنهر الموت وعدوا عبور الاسرائيليين اياه الى ارض الميعاد والحوادث الاخر التي ذكرناها رمزاً الى انتقال المسيحي من عالم الخطيئة الى دار البقاء . فلذلك تراهم يبالغون في احترامه ويتواردون من جميع الانحاء الى زيارته والاعتماد فيه وينقلون من مائه الى البلدان القصبة ليمزجوه بالماء الذي يعمدون فيه اطفالهم تبركاً . قال انطونيوس في القرن السادس عشر ان ضفتي النهر كانتا مبلطتين في هذا المكان وان صلياً خشبياً كان منصوباً في وسط الماء

✽ **مأوى يحيى** ✽ بالقرب من هذا المكان دير ماري يوحنا للروم الارثوذكس يُقال ان القديسة هيلانة بنته فوق الكهف الذي كان يوحنا المعمدان يأوى اليه لما كان يكرز ويعمد في بركة اليهودية بقرب الاردن . غير ان الاقوال الحقبة تشير الى كون جوستينيانوس بناء مغرب فاعيد بناءه في القرن الثاني عشر . ويوجد فيه بقايا اقبية قديمة وبقايا نقوش بالفسيقية

✽ **المجلال** ✽ محطة الاسرائيليين الاولى بعد عبورهم النهر لم نزل حقيقة موقعها مجهولة غير انها لا بد ان تكون متوسطة بين النهر واريحا لان التوراء تقول انها في تخوم هذه ✽ **غور الاردن** ✽ يليق بنا قبل الفراغ من هذه المقالة ان نذكر شيئاً عن

حقيقه وادي الاردن مصدر ثروة فلسطين اذ يملأ ايدي الفلاح خيراً من دون تكليفه عملاً شديداً كباقي الاراضي . ويمر في عرضه على جانبي الاردن عدة مشاريع وجداول بحيث يتيسر ري اراضيه بسهولة . وتنمو فيه كل اشجار البلدان الحارة نمواً سريعاً وتنضج اثمارها بسبب الحر قبل الاوان فتباع باسعار غالية . ويطلق اسم الغور على القسم الواقع بين

طرف بحيرة طبريا الجنوبي والبحر الميت وطوله نحو ٦٣ ميلاً وعرضه يختلف كثيراً وأوسع نقطة فيه عند نمرين تبلغ نحو ١٠ أميال

أما الأقسام الشمالية من هذا الوادي فتدعى الغوير . وفيه تلال كثيرة اصطناعية ربما كانت حصوناً ومزارع قديمة . وأطراف هذا الوادي الجنوبية الواقعة حوالى البحر الميت جدداء من كثرة الملح المنتشر فيها . والقسم الأكبر منه الآن تابع للإملاك الخاصة السلطانية (الجفتلك) وتدير شؤونه الزراعية مديرية بيسان ونحن نعتقد رغماً عن الاجتهاد المصروف في تعمير أراضيه واستغلالها بعد أن كانت مهجلة أن أسباب العمران لا تتوفر إلا بتوفير أسباب الأمن والراحة كمد طريق مركبات لتصل بطريق القدس عند أريحا وبطبريا من الطرف الآخر . وفتح مراكز للبريد والتلغراف فيه . وقد كتبنا بذلك مرة إلى رئاسة كومسيون الجفتلك في الشام فأبنا أنها اقتضت على وضع شعبة تلغراف في بيسان وشرعت بتعميد الطوبى حوالها فقط

وبعد استيلاء السمرة على البلاد المعروفة اليوم باسم جبل نابلس صارت طريق اليهود بين الجليل واليهودية تمر بوادي الأردن تحاشياً من اختلاطهم بالسمرة . ويعسر السفر في الغور في أيام الحر لانه يشتد ويكثر البرغش في وقت سكوت الأرياح فيعصي الأبعار ويعم الأذان وأفضل وسيلة لطرده كثرة التدخين

تحرير الصحافة في الشرق

يدعونا إلى الكلام في هذا الموضوع في هذا الجزء فكاهة قرائنا لبعضهم مندمدة وهي قوله في كلامه عن إحدى المجالات ما معناه

« أن تحرير الجرائد والمجلات سهل جداً في هذا العصر . فانه يكفي أن تكون في مكتبة الكاتب دائرة المعارف الأوروبية (انسيكو بيديا) لتكون مجلته أو جريدته علمية تاريخية صحفية فلسفية زراعية سياسية صناعية . إذ باب الترجمة واسع لكل داخل الخ . . »

فجواب المنصف على ذلك أن هذا الانتقاد في محله إذا كان الغرض منه لوم الكتاب لتزكهم « الاختصاص » (انصرف كل عالم إلى علم) واشتغالهم بكل ضروب المنقول والمقول معاً . فيكون أحدهم تاريخياً سياسياً زراعياً صناعياً تجارياً أدبياً فيلسوفاً في وقت واحد مع